الشريك الأمني غير المعتاد لدول الخليج: روسيا

غوكهان أرلي

على الرغم من وجود علاقات سياسية واقتصادية وعسكرية واجتماعية بأبعاد مختلفة بين دول الخليج وروسيا منذ عقود، إلّا أن العلاقات العسكرية بين المملكة العربية السعودية وروسيا في الآونة الأخيرة، يمكن أن تشكّل نموذجا فيما يتعلق بمساعي دول الخليج في البحث عن شريك أمني جديد، أو بديل للولايات المتحدة والغرب، في إطار التغيرات الحاصلة في الخليج.

أقامت دول الخليج تعاوناً عسكرياً استراتيجياً مع الدول الغربية، وبشكل رئيس مع الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا، وازدادت هذه العلاقات العسكرية بأبعاد مختلفة بعد العقد الأول من القرن الحادي والعشرين. وقد تعززت هذه العلاقات باتفاقيات الشراكات العسكرية الموقعة بين دول الخليج والولايات المتحدة والدول

الغربية، التي تضمنت وجود القوات والمنشآت العسكرية الأمريكية والبريطانية والفرنسية في دول الخليج، إضافة إلى المعدات العسكرية المقدمة لدول الخليج. ورغم عدم ظهور تغيرات أساسية في تلك التوجهات الأمنية التاريخية لدول الخليج، إلّا أن الفترة الأخيرة شهدت بعض التطورات التي دفعت باتجاه تغيير توجهات السياسة الخارجية لدول الخليج المتمحورة حول الأمن، والتي مهدت الأرضية لظهور روسيا كشريك أمني جديد لدول الخليج، إلى جانب الولايات المتحدة والغرب، أو بديلاً عنها.

على الرغم من وجود علاقات سياسية واقتصادية وعسكرية واجتماعية بأبعاد مختلفة بين دول الخليج

وروسيا منذ عقود، إلّا أن العلاقات العسكرية بين المملكة العربية السعودية وروسيا في الآونة الأخيرة، يمكن أن تشكّل نموذجا فيما يتعلق بمساعي دول الخليج في البحث عن شريك أمني جديد، أو بديل للولايات المتحدة والغرب، في إطار التغيرات الحاصلة في الخليج.

العلاقات العسكرية السعودية الروسية

إن من أهم مؤشرات تطور العلاقات العسكرية بين السعودية وروسيا هي اتفاقية التعاون العسكري الموقعة بينهما في 24 آب/ أغسطس 2021. حيث التقى نائب وزير الخارجية السعودي خالد بن سلمان الذي كان في روسيا على هامش مشاركته في المنتدى العسكري التقني الدولي 2021، مع نائب وزير الخارجية الروسي سيرغي شويغو، وتم توقيع اتفاق تعاون عسكري بين البلدين.

لم يتم تقديم معلومات رسمية حول تفاصيل تلك الاتفاقية، إلّا أن النقطة الرئيسة التي تجعل هذه الاتفاقية مهمة، هي أن السعودية تعد الدولة الأكثر استيراداً للمعدات العسكرية في العالم، فيما تعد روسيا الدولة الثانية الأكثر تصديراً للمعدات العسكرية في العالم. حيث تحتل الولايات المتحدة المرتبة الأولى بين الدول التي تستورد منها السعودية المعدات العسكرية، ووفقا لمعهد ستوكهولم الدولي لأبحاث السلام (SIPRI) فإن الولايات المتحدة باعت 25% من إجمالي صادراتها من المعدات العسكرية خلال السنوات الخمس الأخيرة، إلى السعودية.

النقطة التي يجب النظر إليها هنا، هي ما إذا كان يمكن اعتبار الاتفاقية العسكرية التي وقعتها السعودية مع روسيا على أنها تغيير في سلوك السياسة الخارجية للمملكة أولا. وعند تقييم عدد من التطورات الأخرى، إضافة إلى قيام الولايات المتحدة بنقل بعض بطاريات صواريخ الباتريوت والمعدات العسكرية الأمريكية إلى خارج السعودية، يمكن القول إن ذلك يشير إلى أن السعودية يمكنها تغيير سياستها الخارجية إذا لزم الأمر. لكن في الأساس، يجب القول إن السعودية - وفي الواقع الدول الخليجية الأخرى أيضاً - تعتمد إلى حد ما على المظلة الأمنية العسكرية الأمريكية.

الأسباب التي أدّت لتغيير سلوك السياسة الخارجية السعودية

هناك أبعاد مختلفة لتطوير السعودية علاقاتها الثنائية مع روسيا فيما يتعلق بتنويع شركائها الأمنيين والبحث عن بدائل للمظلة الأمنية العسكرية الأمريكية. البعد الأول هو مناخ انعدام الأمن التي تعيشه السعودية. والبعد الثاني هو موقع السعودية في السياسة الخارجية للولايات المتحدة في عهد بايدن. أما البعد الثالث فهو خطط المملكة العربية السعودية لتطوير مبادراتها الاقتصادية مع شركاء "عالميين" بتكاليف سياسية أقل.

لو نظرنا إلى البعد الأول، يمكن القول إن المملكة العربية السعودية تعيش مناخا من انعدام الأمن. حيث أن هجمات الطائرات المسلحة بدون طيار والصواريخ الباليستية التي يطلقها الحوثيون المدعومون من إيران في اليمن تجاه الأراضي السعودية، تستهدف مناطق مثل خميس مشيط وأبها وجازان، وتهدد البنية التحتية الحيوية والمنشآت العسكرية والحياة الاجتماعية للسعودية. بالإضافة إلى ذلك، فإن الانسحاب العسكري للولايات المتحدة من أفغانستان، وقرار سحب

جنودها من العراق بحلول نهاية العام الجاري، وإعادة نشر معداتها العسكرية في دول جديدة بالمنطقة بدلاً من دول الخليج، مثل الأردن، يمثل عاملا آخرا يهدد السعودية.

بالإضافة إلى ذلك، فإن المسألة الثانية التي تجعل السعودية في مناخ من انعدام الأمن هي وصول نظام بايدن إلى الحكم. حيث أن بعض الدول مثل السعودية والإمارات توقعت نظاما جديدا في الشرق الأوسط، مع تولي إدارة بايدن للسلطة، إلّا أن تلك الدول لم تجد مساحة للحركة كما كان عليه في عهد ترامب. وعلاوة على ذلك، فإن إدارة بايدن أمضت الكثير من الوقت في بلورة رؤية أمريكية جديدة تجاه قضايا الشرق الأوسط يبدو أنها لا تنسجم مع تطلعات السعودية ودول الخليج، مثل الحوار السياسي مع إيران والدعوة لحل الأزمة في اليمن. لذلك، أدت هذه المسألة إلى زيادة مناخ انعدام الأمن في السعودية. فقررت السعودية بدء مفاوضات سياسية مع إيران التي لم تظهر الولايات المتحدة في عهد بايدن أي إرادة للقتال العسكري معها، مما اضطرت السعودية لتعديل سلوكيات سياستها الخارجية تبعا لأسباب هيكلية.

ومع انعدام الأمن العسكري في السعودية، كانت المخاوف الأمنية من أهم الأسباب الرئيسية لتوقيع السعودية اتفاقية أمنية مع روسيا، وفي الوقت نفسه كانت هذه المسألة مرتبطة بالإمكانيات المتعلقة بالاقتصاد والاستثمارات. كما أن العلاقات الاقتصادية والتعاون الاستثماري بين روسيا والسعودية يسرّع من توجّه المملكة نحو اعتبار روسيا شريكا اقتصاديا.

التقييم

رسمت دول الخليج علاقاتها الأمنية بشكل تاريخي وهيكلي مع الدول الغربية. والفاعلون البارزون هنا هم الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا. وإضافة إلى ذلك، فإن التوجهات المختلفة للجهات الفاعلة مثل روسيا نحو أمن الخليج في الآونة الأخيرة، أدت إلى تعزيز مساعي الدول الخليجية للبحث عن بدائل من الشركاء الأمنيين العالميين. وفي هذا السياق، فإن الاتفاقية الأمنية الموقعة بين السعودية وروسيا في هذا الوسط الناجم عن مختلف القضايا السياسية والاقتصادية والعسكرية تعكس هذه التوجهات. ولكن من الواضح أن دول الخليج لا تزال تعتمد على الولايات المتحدة فيما يتعلق بالأمن، وربما لا تشير مثل هذه المساعي المرحلية للبحث عن شركاء أمنيين إلى تحول هيكلي كامل في السياسة الخليجية. ■

غوكهان أرلي: أكاديمي وباحث من تركيا، منسق الدراسات الخليجية في مركز أورسام.